خطبة عيد الفطر 1440

الثبات على الطاعة بعد رمضان حتى الممات

للشيخ السيد مراد سلامة

الحمد لله الذي سهل للعباد طريق العبادة ويسر، وضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، ووفَّاهم أجورهم من خزائن جوده التي لا تحصر وجعل له أعيادًا إسلامية في كل سنة عيدين: عيدَ الفطر وعيدَ النحر بدلا من أعياد الجاهلية والمنكر، وعيدُ الأسبوع يوم الجمعة، عيدٌ لا ينكر، فهي أعياد إسلامية تُجدد المحبةَ والإخاء وتذكِّر بالفزع الأكبر. وأشكره على نعمه التي لا تحصر.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله خير من صلى وصام، اجتهد في عبادة ربه حتى تفطرت قدماه فكان عبدًا شكورًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

الله أكبر ما صامت الأمة المحمدية شهر رمضان مخبتين وصابرين، الله أكبر ما قرءوا القرآن وباتوا لربهم سجدًا وقيامًا، الله أكبر ما توافد المسلمون على المساجد مصلين وذاكرين، يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ولفضله سائلين، وعلى نعمه شاكرين، الله أكبر ما ذكروا بصيامهم أحوال البائسين، وواسوا بزكاتهم الفقراء والمساكين، وخرجوا يوم العيد مسرورين ويهنئ بعضهم بعضًا بما ناله من عظيم الأجر والفضل الأكبر

الله أكبر ما صام صائم وأفطر، الله أكبر ما تلى قارئ كتاب ربه فتدبر، الله أكبر ما بذل محسن فكشر، وابتلي مبتلى فصبر أما بعد:

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

**حال كثير من الناس بعد رمضان**

أمة الإسلام: كل عام أنتم بخير وتقبل الله منا ومنكم الصيام وخالص الأعمال انقضى رمضان وانقضت أيامه ولياليه وفي أول فجر من شهر شوال زلة أقدام عن الصراط ونامت عن ذكر رب الأرض والسماوات ثم ازداد الأمر سوء في صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.......

أين المصلون؟

أين الذاكرون؟

أين التالون؟

أين ذهب هؤلاء؟

هل استطاع الشيطان في أول لحظة من انطلاقه أن ياسر هؤلاء جميعا ؟!

لماذا زلت الأقدام بعد ثبوتها؟

هذا هو حال كثير من المسلمين صفصفت المساجد ولم يبق إلا عمرها الذين شغفت قلوبهم بطاعة ربهم

الذين تعلقت قلوبهم ببيت ربهم

الذين تذوقوا حلاة الطاعة فمن ذاق عرف ومن عرف اغترف

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

**موانع الثبات على الطاعات**

فإن سألتم إخوة الإسلام: ما هي الموانع التي منعت هؤلاء من الثبات على الطاعة؟

**الجواب بحول الملك الوهاب:**

اعلم علمني الله وإياك: أن هناك أسباب عديدة تحول بينك وبين الثبات نذكر منها ما ذكره علماؤنا:

**أولا: ضعف العزيمة:** وذلك أن كثيرا من هؤلاء عزيمته ونيته وإرادته ضعيفة وذلك لأنه ما عقد النية في أول رمضان على المثابرة والثبات على الطاعة بعد رمضان والخواتيم ميراث السوابق فكثير من هؤلاء رمضاني الطاعة والعبادة فاذا مضى رمضان انقطعت عزيمته وفلت إرادته

**ثانيا: طول الأمل:** اعلم أنه ما أساء أحد العمل إلا و تجده طويل الأمل، وما زلت قدم بعد ثبوتها إلا لطويل أملها و الله تعالى اخبرنا عمن ساء عمله و خاب سعيه فقال محذرا من طول الأمل، {وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]

ويقول جل شأنه: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3] أي دعهم يعيشوا كالأنعام ولا يهتموا بغير الطعام والشهوات، وقوله: (ويلههم الأمل) أي يشغلهم طول الأمل والعمر عن استقامة الحال على الإيمان، والأخذ بطاعة الله - تعالى -.

**ثالثا: التوسع في المباحات من مأكل و مشرب** و مركب كلها مقعدات للعبد عن الطاعة لذا ارشدنا من بيده الرشد إلى الاعتدال في المباحات فقال رب الأرض و السموات {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه: 81].

فأمر -سبحانه -بالأكل ونهى عن الطغيان فيه حتى لا تميل النفس إلى البطالة والكسل، وتتقاعس عن العمل وتطلب الراحة ويعجز المسلم عن حملها عليه، وهذا لا يعني تحريم ما أحل الله، فقد كان -صلى الله عليه وسلم -(يحب العسل والحلواء) (ويأكل اللحم ويقبل ما يقدم إليه إلا أن يعافه) فاستعمال المباح في التقوي على الطاعة طاعة، ولكن الآفة التوسع والاستكثار، فليكن تناول المباح بقدر.

سأل سائل الإمام ابن الجوزي رحمه الله قائلا: "أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي"،

فأجابه: «عند نفسك من الغفلة ما يكفيها». !!

كان بعض الصحابة و السلف يترفعون عن الدنيا وملذاتها ومن ذلك ما جاء عنهم :

تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - :( أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع ،

فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم )

قال رجل لابن عمر رضي الله عنهم: ألا أجيئك بجوارش،

قال: وأي شيء هو؟ قال: شيء يهضم الطعام إذا أكلته،

قال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدر عليه، ولكن أدركت أقواماً يجوعون أكثر مما يشبعون .[رواه الإمام أحمد ]،

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

**رابعا: إلف المعصية**

وقد نبه السلف إلى هذه القضية فقد قال الضحاك: "ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب" ثم قرأ: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير).

وسأل رجلٌ الحسنَ البصري قائلا: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال: "ذنوبك قيدتك"

وقال الثوري: "حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته" قيل وما ذاك الذنب ؟ قال: "رأيت رجلا يبكي فقلت هذا مرائي".

وهذا كرز بن وبرة يدخل على بعض الناس وهو يبكي فيقول له أتاك نعي بعض أهلك فيقول أشد ؟ فقال وجع يؤلمك قال أشد قال وما ذاك ؟ قال: "بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا لذنب أحدثته"

وقال سليمان الداران: "لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب"

وقال آخر: "كم من زلت منعت قيام الليل ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم بها قيام سنة، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات".

قال ابن القيم في الجواب الكافي: "ومنها ــ أي آثار المعصية ــ: حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله, وتقطع طريق طاعة أخرى فيقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا, فيقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان

**خامسا: الابتعاد عن الأجواء الإيمانية:** النفس إن لم تشغلها بالحق والطاعة شغلتك بالمعصية، ومن أصول عقيدتنا أن الإيمان يزيد وينقص، فيضعف ويضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور والتبرج والسفور أو انشغل قلبه بالدنيا وأهلها.

لذا بين الرسول -صلى الله عليه وسلم -أن ((أحسن البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق))، وما ذلك إلا لأن المساجد بيوت الطاعات، ومحل نزول الرحمات، وأساسها على التقوى، والأسواق محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وخلف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه.

وحينما سأل قاتل المائة العالم: هل له من توبة؟ قال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، مما يدل على أن البيئة تؤثر في ثبات المسلم على الطاعة.

لذا حث الشرع على مرافقة الصالحين ليعتاد المسلم فعل الطاعات، وترك السيئات، قال - تعالى -: ({وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) } [الكهف: 28، 29].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

**وسائل الثبات على الطاعات**

أولا: صدق النية وقوة العزيمة :

اعلم أن من أعظم وسائل الثبات على الطاعة أن تكون صادق النية قوة العزيمة عال الهمة {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب: 23، 24]

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله- {صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ الله عَلَيْهِ. .} [الأحزاب: 23]

وساعة تسمع كلمة {رِجَالٌ. .} [الأحزاب: 23] في القرآن، فاعلم أن المقام مقام جدٍّ وثبات على الحق، وفخر بعزائم صُلْبة لا تلين، وقلوب رسخ فيها الإيمان رسوخ الجبال، وهؤلاء الرجال وَفَّوا العهد الذي قطعوه أمام الله على أنفسهم، بأنْ يبلُوا في سبيل نصرة الإسلام، ولو يصل الأمر إلى الشهادة.

قال أبو غسان النهدي: سمعت سفيان بن عيينة وأعانه على الحديث أخوه، قال: حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله.

فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عاما، فلما حضرته الوفاة، واشتد به النزع والعلز ( العلز : القلق والكرب عند الموت وشبه رعدة تأخذ المريض ) وهو جالس، فقالت ابنته: يا أبة لو وضعت جنبك، فقال: يا بنية إذا ما وفيت لله بالنذر والحلف، فمات، وإنه لجالس.

قال سفيان: فأخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة، قال:

حفرت قبر رجل، فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة، فقلت لإنسان: قبر من هذا ؟ فقال: أو ما تدري ؟ هذا قبر صفوان بن سليم.

قال الحارث الغنوي: آلى ربيع بن حراش ألا تفتر أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره؛ فما ضحك إلا بعد موته. وآلى أخوه ربعي بعده ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار. قال الحارث الغنوي: فلقد أخبرني غاسله، أنه لم يزل متبسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

أبو حنيفة

وروى الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في كل ليلة، ويبكي حتى يرحمه جيرانه.

ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة -أعني سنة خمسين ومائة -

**ثانيا: الدعاء**

ومما يثبت المؤمن على الطاعة الدعاء فهو سلاح المؤمن وحصنه الذي يلجا إليه قال -تعالى -: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران: 101].

ومن صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على الطاعة: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

وهذا من عصمه الله تعالى خير خلق الله يكثر من الدعاء ويسأل رب الأرض والسماء عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما -يدعو: ((اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى)).

ثالثا قصر الأمل

عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كالغريب، أو كعابر سبيل» . قال : وكان ابن عمر يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ، وخذ من حياتك لموتك

عن شداد بن أويس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه وهواها وتمنى على الله عز وجل»

وقال علي بن أبي طالب: [إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدكم عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل] رواه البخاري تعليقاً، ووصله ابن أبي شيبة في المصنف، ورواه ابن المبارك في الزهد.

**ثمرات الثبات على الطاعة**

اعلموا بارك الله فيكم أن للطاعة والمثابرة عليها ثمرات يراها ويجنيها أهل الثبات في الدنيا والأخرة نذكر منها

**الثبات على الطاعة -ولا سِيَّما النوافل -سببٌ لمحبة الله:**

يقول تعالى -كما في الحديث القدسي، الذي أخرجه البخاريُّ من حديث أبي هريرة -: ((وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه))، فالمداومة على النَّوافل من العبادات سببٌ لمحبة الله للعبد.

**الثبات على الطاعة هو سُنَّة الحبيب محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم -:**

ففي "صحيح مسلم" من حديث عائشة -رضي الله عنها -أن النبيَّ كان إذا عمل عملاً أثبته، وفي "الصَّحيحين" من حديثها أيضًا أنَّها قالت: "ما كان رسول الله يَزِيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة".

**الثبات على الطاعة سببٌ لِحُسن الخاتمة:**

فإذا داومَ العبد على الطَّاعات، كان من أعظم الأسباب لتحقيق حُسْن الخاتمة، وقد جرَتْ سُنَّة الله في خلقه أنَّ من داوم على شيءٍ مات عليه، ومن مات على شيءٍ بُعِث عليه، وكما في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ من حديث جابر -رضي الله عنه -: ((يُبعث كلُّ عبد على مات عليه)).

 اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

الْيَوْمُ يَوْمُ عِيدٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، فَاحْمَدُوا اللَّه تَعَالَى إِذْ هَدَاكُمْ، وَاشْكُرُوهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ، وَبَرُّوا وَالِدِيكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَأَكْرِمُوا جِيرَانَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ، وَأَدْخِلُوا السُّرُورَ عَلَى نِسَائِكُمْ وَأَطْفَالِكُمْ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الْبَقَرَةِ: 185]،

تقبل الله منا و منكم الصيام و القيام و صالح الأعمال